إيران تتحدّى... من موقع ضعف

المشروع الإيراني مصرّ على استهداف المنطقة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

أن يختار الرئيس الإيراني الجديد إبراهيم رئيسي بدء ولايته باستقبال وفد حوثي برئاسة محمّد عبدالسلام، يعطي فكرة عن توجّهات الرجل الذي اختاره "المرشد" علي خامنئي ليكون خليفة حسن روحاني. تريد إيران أن تتحدّى الخارج في كل مكان. في اليمن وفي غير اليمن. لذلك، حرص رئيسي بعد ذلك على استقبال إسماعيل هنيّة رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس" التي أقامت إمارتها الإسلاميّة في غزّة على الطريقة الطالبانيّة...

أزاح خامنئي كلّ من يستطيع الفوز على رئيسي في الانتخابات الرئاسيّة. وجد طريقة "قانونيّة" لمنع الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد ورئيس البرلمان السابق علي لاريجاني من الترشّح. يمتلك خامنئي، الساعي قبل كلّ شيء إلى تأمين خلافته بالطريقة التي تناسبه، رؤية خاصة به إلى مستقبل إيران من زاوية استمرارها في مشروعها التوسّعي الذي كانت له انطلاقة جديدة بعد الاحتلال الأميركي للعراق في ربيع العام 2003.

ليس لدى إيران أي حلول لا للعراق ولا لسوريا ولا للبنان ولا لليمن... ولا لقطاع غزّة. ليس لدى إيران ما تصدّره إلى خارج حدودها غير أزماتها الداخلية التي هي في هرب مستمرّ منها

من يستهلّ عهده باستقبال وفد حوثي إنّما يريد توجيه رسالة واضحة ليس إلى المملكة العربيّة السعودية فحسب، بل إلى كلّ دول المنطقة والمجتمع الدولي أيضا. فحوى الرسالة، أن اليمن الذي يتحكّم الحوثيون (أنصار الله) بجزء منه، ورقة إيرانيّة. أكثر من ذلك، تريد "الجمهوريّة الإسلاميّة" تأكيد أن لديها سيطرة كاملة على جماعة "أنصار الله" من جهة والاستمرار في سياسة ابتزاز المملكة العربيّة السعوديّة ودول الخليج العربي من جهة أخرى.

باختصار شديد، إن تصرفات إيران في ظلّ علي خامنئي لا تبشّر بالخير. على العكس من ذلك، نشهد يوميا إصرارا إيرانيا على الدخول في مواجهة مع المجتمع الدولي من دون أخذ في الاعتبار لعوامل عدّة. في مقدّم هذه العوامل أن إيران لا تمتلك اقتصادا يسمح لها بدور القوّة المهيمنة إقليميا، بما في ذلك التحكّم بحركة الملاحة في منطقة حيويّة مثل بحر العرب.

عندما لا تستوعب إيران هذه المعادلة البسيطة يسهل على "المرشد" الذهاب بعيدا في تحدّي دول المنطقة والعالم غير آبه بكل الضرر الذي لحق ببلده وبالشعوب الإيرانية التي تعاني من الفقر والتصحّر. لا يدرك أن كلّ هذه التحديّات تأتي من موقف ضعيف وليس من موقف قويّ. لا تقتصر الأضرار الناجمة عن هذه التحدّيات على إيران وحدها بل تنسحب السياسة الإيرانية العوجاء المتبعة، أيضا، على بلدان مثل العراق وسوريا ولبنان واليمن.

يبدو أن السؤال الذي سيطرح نفسه عاجلا أم آجلا متعلّق بالثمن الذي سيدفعه العراق في ظل الإصرار الإيراني على نقل تجربة "الحرس الثوري" إليه. يحصل ذلك عن طريق تكريس وجود "الحشد الشعبي" كقوّة مرادفة للجيش العراقي. ما تطرحه إيران في العراق وجود جيشين في بلد واحد. أحد هذين الجيشين تجمّع لميليشيات تدار من طهران. ما الذي ستكون نتيجة ذلك غير بقاء العراق في حال ميؤوس منها على الرغم من كل الجهود التي يبذلها رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي بدعم من رئيس الجمهورية برهم صالح من أجل قيام عراق متوازن، عراق على علاقة جيّدة مع محيطه العربي... ومع إيران.

السؤال نفسه ينطبق على سوريا. ماذا تفعل إيران في سوريا عبر ميليشياتها؟ هل تعتقد أن في استطاعتها تغيير سوريا، خصوصا التركيبة الديموغرافيّة للبلد؟ لا وجود لأيّ أفق للوجود الإيراني في سوريا، مثلما لا أفق للوجود الإيراني في لبنان. حسنا، سيطرت إيران على لبنان عبر "حزب الله". تحوّل لبنان إلى دولة فاشلة لا أكثر بعدما صار فيه جيشان. صار لبنان دولة مفلسة في كلّ المجالات بعدما استطاع "حزب الله" أن يقرّر من هو رئيس الجمهوريّة فيه. أمّا بالنسبة إلى سوريا، فإنّ إيران لا تدرك أن رهانها على النظام القائم يمثّل ذروة الإفلاس. هذا النظام صار مستهلكا. لعلّ روسيا أكثر من يدرك ذلك وهي تبحث عن طريقة للتفاهم مع الإدارة الأميركيّة في شأن مستقبل سوريا التي لا يمكن أن تبقى طويلا تحت حكم نظام أقلّوي يراهن على أنّه سلّم الجولان إلى إسرائيل في العام 1967... ويعتقد أن ذلك ضمانة له!

ماذا تنفع كل التحديات الإيرانية من دون اقتصاد قويّ؟ ماذا تنفع كل التحديات إذا لم تعد إيران إلى أرض الواقع المتمثّل في أن لا مجال لإعادة الحياة إلى الاتفاق المتعلّق بملفّها النووي من دون البحث في مستقبل صواريخها وطائراتها المسيّرة؟

في أوّل كلمة ألقاها الرئيس الإيراني الجديد بعد أداء اليمين، قال إبراهيم رئيسي ما معناه أن إيران مستمرّة في التدخل في سوريا وغزّة. ليس معروفا ما دخل "الجمهوريّة الإسلاميّة" في سوريا وغزّة. المأساة السورية أمر واقع، كذلك مأساة غزّة. ما الذي يمكن لإيران عمله في سوريا أو غزّة؟ الجواب أن كل ما تستطيع عمله هو تعميق الأزمة السورية ومتابعة الاستمرار بالمتاجرة بغزّة. تحتاج غزّة إلى من يرفع الحصار عنها وليس عمل كلّ شيء من أجل تبرير الحصار.

تتحدّى إيران العالم من موقع ضعف وليس من موقع قوّة. لذلك تبدو خطورتها على المنطقة والعالم أكثر من أيّ وقت. في النهاية، ليس لدى إيران أي حلول لا للعراق ولا لسوريا ولا للبنان ولا لليمن... ولا لقطاع غزّة. ليس لدى إيران ما تصدّره إلى خارج حدودها غير أزماتها الداخلية التي هي في هرب مستمرّ منها.

كان عطش منطقة الأحواز التي انتفضت أخيرا في وجه النظام آخر دليل على مدى الفشل الإيراني في كلّ المجالات. هناك نظام يغيّر مجاري الأنهر من دون إدراك أن ذلك يتسبب بعطش وجفاف يعاني منه الملايين من الإيرانيين. هل يكفي أن يكون أهل الأحواز من العرب كي يسهل حرمانهم من المياه؟

بعض التواضع ضروري بين حين وآخر. يعني التواضع قبل أيّ شيء مباشرة انسحاب إيران من حروبها التي تشنّها بالواسطة، أي عبر ميليشيات مذهبيّة، على العراق وسوريا ولبنان واليمن التي باتت قاعدة صواريخ موجهة إلى السعودية ودول الخليج.

من الضروري في كلّ وقت تذكّر أن الصواريخ والقنابل النووية لم تنقذ الاتحاد السوفياتي من الانهيار. لماذا ستنقذ الصواريخ والبرنامج النووي إيران من انفجار داخلي لنظام ليس لديه ما يقدّمه لا للإيرانيين ولا لدول الجوار ولا للعالم؟

العراقيون ورئيسي والأمل المفقود

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

باعتبار أن لا خلاص للعراقيين من نير الاحتلال الإيراني الذي أفقرهم، وهيمن على مؤسسات دولتهم، وسلط عليهم سلاح ميليشياته الوقحة، ونهب ثرواتهم، وأذلهم وحرمهم من الحياة الآمنة، فقد تمنوا أن يكون تنصيب إبراهيم رئيسي رئيسا للجمهورية، وهو المصنّف أوروبيا وأميركيا وإسرائيليا وعالميا بأنه قاتل وتنبغي محاكمته على ما ارتكبه من جرائم ضد الانسانية، وبالتزامن مع هجمات القرصنة الجديدة التي دشن بها عهده الشرير ضد السفن التجارية الغربية في الخليج العربي وخليج عمان، أن تعمد بريطانيا والولايات المتحدة وإسرائيل ودول الخليج العربية هذه المرة إلى توجيه ضربة عسكرية تقصم ظهر نظامه، وتضع نهاية لإرهابه، وتعيده إلى داخل حدوده، خصوصا مع تأكيد وزير الخارجية الإسرائيلي أن إيران على بعد عشرة أسابيع من صنع سلاح نووي.

ورغم أن تجارب ثماني عشرة سنة أقنعتهم بأن الولايات المتحدة التي غزت بلادهم لإسقاط نظام دكتاتوري خطر على أمن العالم ومصالحه الحيوية تحالفت مع نظام لم يخلق مثله في التخلف والعدوانية والدموية والإرهاب وسلمته بلادهم وكراماتهم وثرواتهم، إلا أنهم اعتقدوا، أخيراً، بأن صبرها وصبر حلفائها قد نفد، وصار لازما أن تُكفر عن ذنبها العظيم، وتعيد السلم والأمن إلى شعوب المنطقة والعالم، لتريح وتستريح.

كما حلموا بأن تخلق الضربة المنتظرة المُتمنّاة بيئةً عراقية شعبيةً ثورية ملائمة تجعلهم أقدر على مداهمة الميليشيات الولائية، ونزع سلاحها، واستعادة هيبة الدولة وسلطة القانون، وامتلاك حريتهم المصادرة ووحدة بلادهم من جديد.

ولكن التصريحات المشجعة التي أطلقها وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن والتي قال فيها إن الرد على استهداف إيران للناقلة التجارية في بحر العرب سيكون "جماعيا"، أفرغتها وزارة الخارجية الأميركية في نفس اليوم من مضمونها حين أعلنت أن "الولايات المتحدة تأمل في أن تنتهز إيران الفرصة لحل دبلوماسي في الملف النووي، وأن عليها أن تتصرف على هذا النحو".

وقال المتحدث باسم الخارجية الأميركية نيد برايس للصحافيين إن "رسالتنا إلى الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي هي نفس رسالتنا إلى أسلافه، وهي بسيطة جداً: الولايات المتحدة ستدافع عن مصالح أمنها القومي ومصالح شركائها وتعزّزها"، ثم حثّه على "العودة سريعاً إلى طاولة المفاوضات إذا كان صادقا في عزمه على التوصل إلى رفع العقوبات".

كما أن وزير الخارجية البريطاني دومينيك راب قال إنه بحث هاتفياً مع وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن ضرورة وقف إيران "لسلوكها المزعزع للاستقرار"، ولكنه طالب مجلس الأمن الدولي بالرد على "تصرفات إيران المزعزعة للاستقرار وعدم احترام القانون الدولي"، تماما كما كان العاجزون العرب يفعلون في أعقاب كل عدوان إسرائيلي على مدى أكثر من أربعين سنة.

وحتى وزير الدفاع الإسرائيلي بيني غانتس هو الآخر لجأ إلى الأمم المتحدة، مطالبا بأن (يضع) المجتمعُ الدولي "حدوداً لإيران لكي تتوقف عن سلوكها العدواني".

يعني أن الأميركيين والبريطانيين والإسرائيليين وباقي الحلفاء مكتفون اليوم كما كانوا في السنين الأربعين الماضية بالتهديد المخفف المخلوط بالدعوة إلى الصلح، وإلى مقولة عفا الله عما سلف.

وفي ضوء كل هذه الإشارات المحبطة المقصودة تَزايَد إحباطُ العراقيين، وتجددت شكوكهم القديمة بدول أوروبا والولايات المتحدة، فغسلوا أيديهم منها بالماء والصابون.

وشاركهم في ذلك من الإيرانيين أنفسهم رضا بهلوي ابن الشاه محمد رضا بهلوي، معلنا أنه أصبح أكثر اقتناعا بأن الدول الغربية الأوروبية والولايات المتحدة لا تنوي معاقبة المعممين الإيرانيين الجلادين.

فقد أعلن أن "الديمقراطيّات الغربية تطعن الناس في الظهر"، مستدلا على ذلك برفضها مقاطعة الرئيس الجديد إبراهيم رئيسي وبإرسالها مندوباً عنها لحضور تنصيبه، رغم إقرارها المعلن بأنه "جزار ومجرم وستتمّ محاكمته يومًا ما لارتكابه جرائم ضدّ الإنسانيّة"، معتبرا مشاركة الاتحاد الأوروبي في مراسم تنصيب رئيسي خطوةً يمكن أن تمنحه "شرعيّة لا يستحقّها".

المنطقة لن تشهد حربا من أي نوع وبأي حجم لأن الولايات المتحدة لا تريدها، ولأنها لن تسمح لحليفتها إسرائيل بأكثر من بضع عمليات عسكرية محدودة محتملة، من باب رفع العتب، وستمنعها من توجيه ضربات انتقامية موجعة تهدد بقاء النظام الإيراني

وقال إن "النظام منقسم وهشّ وعلى حافة الهاوية، ولكن إذا ألقينا له طوق نجاة فسيلتقط أنفاسه، ويعيش لفترة أطول قليلاً".

إذن فالمنطقة لن تشهد حربا من أي نوع وبأي حجم، لأن الولايات المتحدة لا تريدها، ولأنها لن تسمح لحليفتها إسرائيل بأكثر من بضع عمليات عسكرية محدودة محتملة من باب رفع العتب، وستمنعها من توجيه ضربات انتقامية موجعة تهدد بقاء النظام الإيراني، بحق، وذلك خوفا منها من أن تدفع هذه الضربات بالنظام أكثر إلى الحضن الصيني، وأملا في استدراجه ليعود إلى طاولة مفاوضات فيينا من جديد.

برغم أنها تعلم أن رئيسي أحوج ما يكون إلى هذه الهدنة ليتفرغ لـ"تحسين الوضع الاقتصادي والمعيشي للإيرانيين" الذين وعدهم خلال خطاب التنصيب، قائلا "وضعنا خطة تطور فورية وقصيرة المدى"، و"أؤكد للشعب أن المشكلات محددة، ومخطط لها جيدًا، وستتمّ متابعتها على الفور".

ومن هنا تحديداً يمكن التنبؤ ببقاء الحال على حاله في العراق وسوريا واليمن وعموم المنطقة، ويصبح سهلا رؤية شكل العلاقة الإيرانية مع العراق، في الفترة القادمة.

وحين يعبر رئيسي في لقائه مع الرئيس برهم صالح عن "تطلع بلاده لتعزيز العلاقات الثنائية مع العراق في مختلف القطاعات"، وحين يجدد حرصه على "علاقات مهمة ومميزة اجتماعية ودينية وثقافية"، ويعد بـ"دعم الجمهورية الإسلامية في إيران لأمن واستقرار العراق وشعبه" فهذا يعني أن على العراقيين أن يتوقعوا أياما أكثر تجويعا وإذلالا، وأوسع نهباً وتهريباً لأموالهم وثرواتهم، باعتبار أن العراق كان وسيبقى الضرع المغذي الأفضل والأقدر على إسعاف الحكومة الإيرانية الجديدة، وإعانتها على معالجة الأوضاع الاقتصادية والأمنية المعقدة في إيران.

يقول كبير المستشارين العسكريين للمرشد الإيراني اللواء يحيى رحيم صفوي، علناً وبلا حرج، إن "تدخل إيران في سوريا والعراق لم يكن مجاناً، بل إنه بثمن مالي (...) ففي كل مرة كنا نساعد فيها العراقيين، نحصل على المال بالدولارات (...) نحن نساعد كل بلد مسلم وغير مسلم يريد ذلك، لكننا نقبض الأموال مقابل ذلك".

ونقلَ عنه موقع إيران إنترناشيونال قولَه "أعطينا فنزويلا البنزين واستلمنا مقابلَه سبائك ذهبية وجلبناها بالطائرة كي لا تحدث مشكلة في الطريق".

إذن، فادّعاء نظام الولي الفقيه بأنه "يريد إخراج القوات الأميركية من العراق دفاعا عن السيادة الوطنية وعن حقوق الحكومة العراقية"، كذبٌ ونفاق. وحتى موعدٍ مؤجَّلٍ بعيد.

إيران تستنزف العراق

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk